

November 9, 2015

روح باندونج وجمال اندونيسيا وأهمية الذاكرة التاريخية



د. نهى خلف

نظمت مجموعة من المثقفين الاسويين والافارقة في مدينة باندونج الاندونيسية ما بين 27 و 31 من شهر أكتوبر -تشرين الأول- الماضي مؤتمرا بمناسبة مرور ستون عاما على مؤتمر باندونج الأول الذي انعقد في نفس هذه المدينة الاندونيسية الجميلة في شهر نيسان 1955 وذلك بهدف احياء ما عرفوه "بروح باندونج" ..

وقد صمم المنظمون وخاصة الاستاد الاندونيسي درويس خضوري على ادراج قضية فلسطين على جدول اعمال المؤتمر عبر تنظيم جلسة خاصة حول فلسطين في باندونج يوم 29 تشرين الأول، حيث قد تم التنسيق مع جمعية 'الحكمة' الثقافية لتنظيم هذه الندوة الهامة التي شارك فيها كل من سفير فلسطين في جकारتا الدكتور فريز المهداوي والدكتور مكرم خوري - مَحُول والدكتورة نهى خلف ..

تصميم المثقفين الاندونسيين ومجموعة من المثقفين الافارقة والاسويين بمساندة وزارة الخارجية الأندونيسية على ضرورة احياء ذكرى هذا الحدث التاريخي الذي جاء في فترة هامة من القرن العشرين التي شهدت صعود دول الجنوب في مواجهة الاستعمار القديم و اعتبارهم لقضية فلسطين كالقضية الوحيدة التي لم يتم حلها في القرن الماضي بسبب استمرار الاحتلال والاستيطان الصهيوني رغم ان القرن العشرين شاهد تحقيق الاستقلال والتحرر من الاستعمار لمعظم بلدان الجنوب او ما كان يسمى بالعالم الثالث، كان موضوع نقاش مثير في المؤتمر.

وقد ناقش مؤتمر باندونج الثاني عدة قضايا ومفاهيم مثل الثقافة والدين والبيئة والمرأة، حيث تم تشكيل لجان متخصصة بكل من هذه المواضيع. والمدعاه في هذا المؤتمر، بالإضافة الى محتواه الغني، هو الروح الإيجابية والتعاونية التي سادت خلاله بين الفئة المنظمة و المثقفين ووزارة الخارجية الاندونيسية التي دعمت ووفرت الإمكانيات لعقد هذا المؤتمر الذي ساهم فيه مفكرون واساتذة جامعيين من خمسة وعشرون دولة من الجنوب بما في ذلك فنزويلا والشيلي وروسيا بالإضافة الى بعض المثقفين من دول الشمال من المختصين بالشؤون الأفريقية والأسبوية.

اما الغريب والمؤسف في هذا المؤتمر هو غياب التمثيل العربي باستثناء المشاركين من فلسطين ومشاركة أستاذة جامعية من المغرب وتواجد ممثل للشبيبة السودانية..

ويعكس هذا الغياب للأسف التناسي التدريجي للعالم العربي بانه جزء لا يتجزأ من آسيا وافريقيا وكأنه يظن إنه قد تحول الى جزء ملحق من أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية..

ان تناسي وتجاهل الجنوب الاسيوي والافريقي، في مخيلة العرب، يبدو وكأنه يتماشي مع الانحطاط التدريجي للثقافة العربية السائدة التي بدت تتأثر بالهوامش الساقطة للفكر الغربي عموما وخاصة ان المثقف العربي لا يبرز في العالم العربي ولا يُعترف به كمؤلف او كاتب او مفكر الا بعدما تعترف به دولة غربية بعد تخرجه من جامعاتها التي كثيرا إما ان تتبناه مؤسساتها او تشعبه بأخلاق الغرب المبنية على الذاتية والفكر البراجماتي الضيق الأفق و التسويق الإعلامي المزيف أو أن يبقى مهمشا وتعمل ضده التيارات المركزية لتهميشه في حال لا تنجح في استيعابه في حال لا تنجح في استيعابه بل في تجنيده للدفاع عن مصالحها..

كما ان تعدد الجامعات الغربية والاختلاف بين الفكر الانجلوساكسوني من جهة والفرانكوفوني او الاسكاندينافي وغيره من جهة أخرى قد زاد من تشتت المثقفين العرب وعدم امكانياتهم للقيام بأي عمل فكري جماعي لانقاذ ما يمكن انقاذه من الجزء العقلاني التنويري في الثقافة العربية الأصلية وتطوير فكر ثوري عربي معاصر. هذا في الوقت نفسه التي تلعب أموال الدول النفطية دورا أساسيا في شراء المثقفين العرب وتدجينهم ومنع تطور اية ثقافة عربية ثورية تتمتع بالأصالة من جهة وبمواكبة التطورات العالمية والكونية مع الحرية المطلقة بممارسة الفكر النقدي دون تعقيم الحقائق من جهة اخري..

فالذي أصاب العالم العربي هو استقطابا حادا ما بين ثقافة مصنعة مبنية على مزيج مشوه وهابط 'عربي-عربي' يقتبس في معظم الاحوال ما هو أسوأ من المفاهيم الغربية مثل النيوليبرالية والنصرة الاستهلاكية دون الالتزام بمفاهيم غربية أكثر إيجابية مثل الاهتمام بالتعليم والصحة، وما بين فكر ظلامي متطرف من جهة أخرى، مع أن الجميع يعلم انه قد تم تشجيعه من قبل أوساط غربية-صهيونية لتحطيم كل إمكانيات نهوض عربي في شتى المجالات..

وقد حظي هذا النوع الثاني من الفكر على مد تصاعدي في الآونة الأخيرة بسبب ازدياد الفقر واتساع الهوة الاجتماعية والثقافية بين الفقراء الذين يشكلون أكثرية المجتمعات العربية والأغنياء الجدد واستخدام الدين والتمويل ال مشروط من قبل بعض الدول النفطية المهيمنة اقتصاديا ومن الغرب. ولكن تقع مسؤولية واضحة أيضا على المثقفين العرب في السماح بإنجاح هذا التيار لأنهم

برغم الادعاء بالحدثة والاستنارة والعلمانية ، لم يتمكنوا من تطوير فكر جماعي ومواقف ثورية ثابتة في مواجهة الفكر الصهيوني ولا في وجه التيار الظلامي ولا في مواجهة الأنظمة العربية الدكتاتورية التي اجتاحتها الفساد والتي تميزت في قمع شعوبها، لا بل قبلوا ان يتم تهمةهم وشرائهم، بدلا من العمل على نهوضها وانتعاشها ورفاهيتها..

هذا هو الدرس الأساسي الذي يجب ان نستنتجه من تجارب شعوب أخرى من الجنوب الافرو-أسيوي ومن أمريكا اللاتينية ، والتي كان ينظر اليها بعض المثقفون العرب والأنظمة العربية المرتبطة بالغرب بعنجهية وفوقية، بينما أصبحت في الواقع هذه الدول اكثر تفوقا ورفاهية من معظم الدول العربية حتى بدت تنافس الغرب من حيث الأهمية الاقتصادية والتفوق الثقافي. ويبدو ذلك واضحا بشكل خاص عبر تطوير مجموعة "بريكس" المكونة من البرازيل وروسيا والهند والصين والتي اضيف عليها بعد ذلك جنوب افريقيا..

بالطبع ، لو سئل المثقفون العرب عن سبب عدم اهتمامهم وتغاضيهم لدول الجنوب قد ينكرون ذلك ويتحججون انهم يدركون أهمية هذه الدول على الصعيد العالمي ولكنهم طبعا يفضلون التعاون مع من يسمونهم "الدول المانحة" اكانت من الغرب او من دول النفط لاسباب مادية مما يعني تقديم مصالحهم الخاصة على المصلحة العامة..

المهم ان الثقافة العربية لم تستنبت دروسا من الثقافات والفلسفات الاسيوية او الافريقية مثل فلسفة "سواراج" الهندية التي طورها المهاتما غاندي خلال حرب الاستقلال من الاستعمار البريطاني والتي تدعو الى حكم ذاتي للشعوب انطلاقا من القاعدة الشعبية وليس مفروضا من القمة أو من الفلسفة الأفريقية "أوبونتو" والتي تعني الإيمان بروابط إنسانية تجمع بين البشرية جمعاء كما تخلت الدول العربية عن معظم المبادئ الفلسفية التي سادت في مؤتمر باندونج الأول والذي حضره الرئيس المصري جمال عبد الناصر كأحد رموز وقادة المؤتمر.

و هذه المبادئ العشرة هي: 1- احترام حقوق الإنسان الأساسية، وأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. 2- احترام سيادة جميع الدول وسلامة أراضيها. 3- إقرار مبدأ المساواة بين جميع الأجناس، والمساواة بين جميع الدول، كبيرها وصغيرها. 4- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو التعرض لها. 5- احترام حق كل دولة في الدفاع عن نفسها، بطريقة فردية أو جماعية، وفقا لميثاق الأمم المتحدة. 6- وعدم استخدام أحلاف الدفاع الجماعية لتحقيق مصالح خاصة لأي من الدول الكبرى. وعدم قيام أي دولة بممارسة ضغوط على دول أخرى. 7- الامتناع عن القيام، أو التهديد بالقيام، بأي عدوان، والامتناع عن استخدام القوة ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة. 8- الحل السلمي لجميع الصراعات الدولية، وفقا لميثاق الأمم المتحدة. 9- تعزيز المصالح المشتركة والتعاون المتبادل. 10- احترام العدالة والالتزامات الدولية.

إن التأمل اليوم بكل المبادئ الخاصة بمؤتمر باندونج الأول من جهة وبما يحدث في العالم العربي الآن من جهة أخرى يوضح الى أي مدى لم تلتزم الدول العربية حتى في التعامل ما بينها في تطبيق هذه المبادئ.

إن السياسة المؤيدة للغرب التي انتهجها الرئيس المصري انور السادات كانت من أهم الأسباب التي أدت الى التخلي العربي من الاهتمام بآسيا وأفريقيا عبر التركيز على الولايات المتحدة والغرب بشكل عام وخاصة عبر ابرام اتفاقيات كامب ديفيد للسلام مع الدولة الصهيونية وعلى حساب قضية فلسطين، وهو اسلوب تفكير قد أصاب كثير من أنظمة الدول العربية مما أضرحتي على مجرى السياسات الفلسطينية بشكل عام.

وبينما لا يمكننا العودة الى الخلف، فهل يسمح لنا اليوم من التساؤل حول ما كان يمكن ان يكون عليه الوضع العربي والفلسطيني في حال كان قد تم التركيز على التعاون المكثف مع آسيا وأفريقيا ؟ وعدم السماح للدولة الصهيونية بالتوغل في هذه البلدان عبر بيع الاسلحة وتطوير المشاريع الاقتصادية والتدريبات العسكرية المشتركة؟

يطرح علينا مؤتمر باندونج الثاني تساؤلات هامة تتطلب عمل وتفكير جماعي جدي وبعيد الامد للإجابة عليها..